٣ ـ العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد لبنان «رؤية تحليلية»

لواء: أ. د. زكريا حسين(*)

مقدمة

تؤثر فى التخطيط الإستراتيجى الإسرائيلى لاستخدام القوات المسلحة عدة عوامل رئيسة، نابعة من نظريتها للأمن الإسرائيلى من جانب، ومن عقيدتها القتالية من جانب آخر. . ولعل عرض وتحليل هذه العوامل يقودنا إلى تحليل علمى ودقيق لأسلوبها فى التخطيط وإدارة العمليات العسكرية التى قامت بها ضد لبنان وحزب الله. .

لقد التزم التخطيط الإستراتيجى العسكرى لإسرائيل[١] **بخمسة عوامل رئيسة لمواجهة التحديات والتهديدات لأمنها القومى**. . وقد تمثلت هذه العوامل فى:

أولاً: عدم قدرة الدولة العبرية على تحمل حرب استنزاف طويلة أو صراع مسلح يكبدها خسائر بشرية عالية، كما لا يمكنها أن تتحمل نزيفًا اقتصاديًا ناتجًا عن صراعات مسلحة طويلة الأمد، أو تحمل خسائر بشرية تهدد كيانها الاجتماعى والسياسى.

ثانيًا: استمرار المحافظة على درجة من التفوق النوعى على معظم التهديدات المحتملة؛ وذلك لردع العدوان وتأكيد أن أى صراع مسلح يمكنها أن تكسبه بسرعة وحسم.

ثالثًا: أنه لا يمكن أن يرتهن أو يرتكز الأمن الإسرائيلى على مواقف الدول الأخرى، ولا يمكن السماح لتهديد محتمل بأن يعمل فى بيئة يمكن فيها تدمير إسرائيل وتهديد

(*) المدير الأسبق لأكاديمية ناصر العليا، ومستشار رئيس الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا.

بقائها . . وقد ارتقى هذا العامل فى الفكر الإستراتيجى العسكرى الإسرائيلى ليصل لكونه عقيدة راسخة؛ دفعت إسرائيل إلى تطوير قوة نووية قوية وإنتاج واستيراد صواريخ بعيدة المدى لحمل الرءوس النووية إلى الأهداف التى يحتمل أن تهدد بقاءها واستمرارها.

رابعًا: الاحتفاظ بالقدرة على تحقيق نتائج حاسمة فى أى صراع رئيس أو ثانوى، قبل أن تتمكن القوى الخارجية من التدخل أو مواجهة إسرائيل بأمر واقع، يؤدى إلى هزيمة محدودة.

خامسًا: استمرار التخطيط الإستراتيجى العسكرى لهزيمة التهديد الأكثر احتمالاً، مع عدم إهمال خطورة القيام أو التنسيق لبناء قوات عربية موحدة. .

هذا وقد بُنيت هذه العوامل فى إطار مبدأين رئيسين: **المبدأ الأول**: هو اعتماد التخطيط الإستراتيجى العسكرى على فكرة **«البقاء القومى»**، الذى يفرض على إسرائيل أن تكون الدولة الوحيدة فى التوازن العربى الإسرائيلى؛ حيث لا يمكنها تحمل هزيمة حاسمة واحدة، **المبدأ الثانى**: هو الارتقاء بالتحالف الإستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية ليوفر لها سيلاً من المعونات فى صورة منح لا ترد ومن القدرات التكنولوجية العسكرية المتفوقة التى تمكنها من تحقيق هذه العوامل، دون أن تتحمل الموازنة المالية الإسرائيلية عبئًا أكبر من قدرتها أو طاقتها!!

وفى مجال التقييم والتحليل لمدى التزام المخطط الإستراتيجى العسكرى بهذه العوامل فى عملياته العسكرية ضد لبنان، وفى مواجهة **«حزب الله»** بصفة خاصة؛ يتضح أن **«حزب الله»** قد نجح فى استيعاب هذه العوامل وخطط تخطيطًا مسبقًا ودقيقًا لمواجهتها والحد من فعاليتها. . حيث نجح المخطط الإستراتيجى للعمليات العسكرية لـ **«حزب الله»** فى إدارة مواجهة عسكرية اتسمت بالصمود، الذى امتد لفترة **«ثلاثة وثلاثين يومًا»**؛ مما أهدر أهم عامل من العوامل التى التزمت بها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية؛ وهو: **«عدم قدرة الدولة على تحمل حرب استنزاف طويلة»**؛ حيث إن ذلك ينعكس انعكاسًا مؤثرًا على الاقتصاد الإسرائيلى؛ حيث إن قوة العمل الإسرائيلية التى تدير الاقتصاد هى نفس قوة الاحتياط التى تعبأ لاستكمال بناء القوة المسلحة الإسرائيلية. وبالتالى فإن إطالة زمن المواجهة من خلال صمود «**حزب الله**» انعكس انعكاسًا مباشرًا على الاقتصاد الإسرائيلى؛ وهو ما دعا إلى التردد وإلغاء فكرة الاستدعاء الكامل لقوة الاحتياط، وإلغاء العمليات

البرية الموسعة، والاكتفاء بعمليات محدودة لتُمكنها من مواجهة عملية الاستنزاف الطويلة التى خطط لها «حزب الله» لتمتد لأكثر من خمسة أسابيع متوالية.

كما قد نجح «حزب الله» فى نقل العمليات العسكرية إلى الداخل الإسرائيلى، وفرض على سكان الشمال الإسرائيلى البقاء فى الملاجئ؛ مما أشعرهم - لأول مرة - بالتدمير المباشر لمنازلهم وممتلكاتهم.. كما أن إسرائيل مُنيت بخسائر اقتصادية وعسكرية وسياسية كبيرة؛ مما يعنى أنها لم تقدر على حسم عملياتها المسلحة ضد «حزب الله» بالسرعة التى تتناسب مع عقائدها ومبادئها القتالية، وتلك العوامل الرئيسة التى التزمت بها فى تخطيطها الإستراتيجى.

هذا وقد أدت العمليات العسكرية الإسرائيلية إلى إعادة النظر فى مفهوم مبدأ **«التوازن العسكرى»**، والذى يعرفه العلم العسكرى **بأنه التعادل من حيث «الكم والكيف» بين القوتين المتصارعتين؛ حيث يعنى «الكم» عدد القوات وأسلحة ومعدات القتال للجانبين، أما «الكيف» فهو يعنى التماثل فى امتلاك التكنولوجيا العسكرية، ومدى حداثة أسلحة ومعدات القتال، وتمشيها مع كل جديد فى هذا المجال**، إلى جانب آلية القيادة والسيطرة، ومنظومة الحرب الإلكترونية، وذلك بالقدر الذى يجعل **«النصر والهزيمة»** من نصيب القوة التى تمتلك التفوق، سواء فى حجم المعلومات المتوفرة، ومدى دقتها عن القوة الأخرى، أو فى إجادتها لتطبيق مبادئ القتال والفن والعلم العسكرى؛ بل والتفوق فى مجال التخطيط الإستراتيجى العسكرى، والإعداد والتدريب والتجهيز لمسرح العمليات!!

وإذا طبقنا مفهوم التوازن العسكرى بهذا المعنى على **«حزب الله»**؛ يتضح الفارق الكبير الذى لا يقارن بين قوة وحجم وتسليح **«حزب الله»**، وبين قوة الجيش الإسرائيلى **رباعية الأضلاع؛ فضلعها الأول قوة تقليدية تمتلك أقوى ما أنتجته تكنولوجيا التسليح، وضلعها الثانى قوة فوق تقليدية جرثومية وكيماوية، وضلعها الثالث قوة نووية، وضلعها الرابع قوة فضائية**.. إلى جانب دعمها بسلسلة من التحالفات الدفاعية والإستراتيجية الدولية، أهمها مع **الولايات المتحدة وتركيا والهند!!**

ورغم هذا الخلل الشديد فى **«التوازن العسكرى»** بين القوة المسلحة لـ **«حزب الله» ودولة إسرائيل**؛ إلا أن هناك إجماعًا من نخبة المثقفين والمفكرين والمحللين على أن

صمود حزب الله وأسلوب قتاله وإدارته الناجحة لعملياته ضد القوة فائقة القدرة الإسرائيلية أضاف عوامل جديدة لذلك التوازن العسكرى، يمكن حصرها فى: **درجة التميز والتفوق والثبات والتحكم والسيطرة للقائد وهيئة قيادته**؛ حيث تفوقت وتميزت القيادة الثابتة والمتزنة للمقاومة عن قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية، والتى أدت إلى دعمها قياديًا خلال فترة العمليات، **بالإضافة إلى كفاءة العنصر البشرى**، والذى كان مفاجأة هذه العمليات، والذى اتسم بالإرادة الصلبة والإيمان الراسخ والثبات والتضحية والمبادرة، التى فرضت على القوات الإسرائيلية أسلوب قتال حرب العصابات، مع السرية فى الإعداد والتخطيط والتدريب، وتجهيز مسرح العمليات بالأنفاق والتحصينات والدشم وغيرها؛ فكان التشتت وعدم القدرة على المواجهة، من خلال اقتيادهم إلى محاور معدة مسبقًا ومجهزة لعمليات الإغارات والكمائن الناجحة ضد أرتال القوة الإسرائيلية المدرعة والميكانيكية، وفرض ترجلها من مركباتها ومدرعاتها والقتال وجهًا لوجه؛ مما أدى إلى تحييد عناصر القوة التى يعتمد عليها المقاتل الإسرائيلى، سواء بالاختراق السريع بالمدرعات والآليات، أو الاعتماد على التمهيد والتدمير الجوى والصاروخى لسرعة الاختراق.. **فكان القتال المتلاحم والقتال خارج الآليات والمدرعات؛ مما انعكس سلبًا على التفوق الإسرائيلى، وأضاف الكثير للقدرات القتالية لـ«حزب الله»**.. **وبالتالى لمبدأ التوازن العسكرى بالشكل والأسلوب المتعارف عليه عسكريًا**؛ الأمر الذى تطلب تدارس وتحليل تنظيم وإدارة العمليات العسكرية الإسرائيلية؛ للوقوف على الأسباب الحقيقية وراء عدم تحقيق الأهداف الإسرائيلية المعلنة، والنتائج التى انتهت إليها هذه العمليات العسكرية، وأوجه القصور **الذى أدى إلى سعى الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الإستراتيجى لإسرائيل لسرعة تلبية المطالب التسليحية التكنولوجية (القنبلة الذكية والقنبلة الصامتة) التى تُمكنها من تنفيذ الأهداف المخططة للعمليات والمنسقة إستراتيجيًا مع الولايات المتحدة الأمريكية!!**

أولاً: العوامل المؤثرة على الأداء العسكرى

١ ـ عدم خبرة وحنكة رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإسرائيلى، وانعكاس ذلك على الإعداد والتخطيط والإدارة الإستراتيجية للمواجهة العسكرية؛ حيث كان اتخاذ قرار بدء

الصراع سريعًا جدًا ودون دراسة كافية لأبعاده؛ حيث تحددت الأهداف ولم يتحدد حجم القوة المشاركة القادرة على تحقيق هذه الأهداف بما يتناسب مع حجم وقوة «حزب الله»، ودرجة استعداده وقدرته على إدارة الصراع، وتجهيزه المسبق لمسرح العمليات؛ مما انعكس على التخطيط والإدارة الإستراتيجية للصراع وأبعاده المختلفة!!

وقد نقلت الصحافة الإسرائيلية أنه فى مجلس الوزراء المصغر الذى اتخذ قرار المواجهة العسكرية ضد لبنان؛ كان **«شيمون بيريز» الوزير الوحيد الذى اعترض عليه، وكان سؤاله لرئيس الأركان «دان حلوتس» عن الخطوات التالية فقال: «إنه يفهم الخطوة الأولى والثانية»، ولكنه لا يفهم الثالثة والرابعة.. وجاء رد حلوتس معبرًا.. فقال: «إن الخطوة الثالثة مرتبطة بالخطوة الثانية، وإن الرابعة مرتبطة بالثالثة؛ وكلها مرتبطة بما يحدث على أرض الواقع.**

ومن المعروف عن رئيس الوزراء **«إيهود أولمرت»**، ووزير دفاعه **«عمير بيريتس»** أنهما ليس لهما سجل عسكرى حافل بالترويع والقتل والتدمير أسوة بباقى قيادات إسرائيل.. ومن هنا فإن **«إيهود أولمرت»** أراد أن يقدم أوراق اعتماده لشعبه بجدارة كرئيس دموى لا يقل - إن لم يكن قد تفوق - عن أحد عشر رئيسًا للوزراء سبقوه، كانوا جميعًا من العسكريين الذين قادوا الحروب، أما **«إيهود أولمرت»**؛ فهو رئيس وزراء من خارج العسكريين، وكل علاقته بالجيش لا تتجاوز الخدمة الإجبارية، التى أصيب فيها، وحولته إلى مراسل عسكرى، وبالتالى فقد انعكس ذلك على إدارته للمواجهة، وبصفه خاصة الجانب الانتقامى والتأديبى؛ ليثبت أنه ليس أقل دموية وعنفًا وإرهابًا ممن سبقوه!!

* اهتزاز ثقة المجتمع الإسرائيلى بقدرات القوات المسلحة على تحقيق الأمن المطلق للإسرائيليين، إزاء النجاح الذى حققته العملية الفدائية الفلسطينية وعملية **«حزب الله»**؛ حيث العملية الأولى التى تمت فى ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ قد نجحت فى مهاجمة موقع حصين، عبر حفر نفق تحت الأرض بطول ٤٠٠ متر، استمر إعداده وتجهيزه فترة ثلاثة شهور كاملة؛ مما أسفر عن مقتل اثنين من الجنود، وجرح سبعة، وأسر جندى إسرائيلى تم سحبه عبر النفق.. مما أبرز قدرة المقاومة الفلسطينية على القيام بعمليات صادمة للعدو، مع إمكانها التنسيق مع الأجنحة العسكرية الفلسطينية للقيام بعمليات مؤثرة على العدو الإسرائيلى، رغم كل ما يقوم به من إجراءات أمنية، أو ما يتمتع به من جهاز معلومات واستخبارات

متوغل . . ثم كانت العملية الفدائية الثانية التى نفذها حزب الله فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ ، والتى اخترقت الخط الأخضر وأسرت جنديين إسرائيليين ، وقتلت ثلاثة ، وأصابت واحداً وعشرين آخرين ؛ مما اعتبر انتصاراً تكتيكيّا لـ «**حزب الله**» وتأكيداً لاحتراف عسكرى عالى المستوى فى الإعداد والتدريب والتنفيذ ؛ مما أصاب غرور القوة والكبرياء الإسرائيلى الذى ارتكز على نظرية عدم قدرة العرب على المساس بأمنه وحدوده ، كما أصاب أجهزة المعلومات والمخابرات الإسرائيلية التى ادعت دائمًا بأنها من أفضل أجهزة المعلومات فى العالم على الإطلاق . .

* وفى مجال سرعة امتصاص موجة الغضب فى الشارع الإسرائيلى ؛ نفذت إسرائيل عملياتها العسكرية على مرحلتين : **المرحلة الأولى** : حملة جوية وبرية وبحرية وصاروخية لفرض حصار كامل برى وجوى ضد لبنان («الشعب والدولة والحزب») ، وعزله عن محيطه الإقليمى بهدف إيقاف ومنع أى إمدادات عسكرية إلى «**حزب الله**» ، سواء لتعويض خسائره أو لدعم عملياته العسكرية ، خاصة الصاروخية منها . **والمرحلة الثانية** : حملة برية ترتبط فى تنفيذها بمدى نجاح الحملة الجوية وقدرتها على فرض الأهداف الإسرائيلية ، خاصة تدمير قوات «**حزب الله**» ، وفرض تسليم سلاحه للدولة اللبنانية . وفى حالة عدم إمكان تنفيذ ذلك الهدف من خلال الحملة الجوية الصاروخية ؛ قد تدير إسرائيل حملتها البرية بعد أن تهيئ لها كل أسباب النجاح .

٢ ـ عدم وضوح الأهداف المخططة بين القيام بعمليات تأديبية واسعة ورادعة للدولة اللبنانية ، وبين تدمير القوة اللبنانية لـ «**حزب الله**» ، خاصة قوته الصاروخية ؛ بالقدر الذى يتحقق معه فرض نزع سلاحه وإبعاده خارج نهر الليطانى لتأمين الشمال الإسرائيلى .

ولعل من أبرز الأخطاء فى الإدارة العسكرية الإسرائيلية هو عدم تركيز الجهود الرئيسة للقوات المسلحة الإسرائيلية لتحقيق الهدف من عملياتها ، من خلال توفير الحشد اللازم من القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية والصاروخية فى عملية واحدة ، يتم تنظيم إعلان التعبئة اللازمة لها ، وإعطاء الفرصة الكافية لأجهزة التخطيط لإعداد التخطيط الإستراتيجى اللازم لتحقيق الهدف منها ، وتنظيم التعاون والتنسيق بين أفرع القوات المسلحة ، وتحديد مهام واضحة لها ، والتدريب المركز عليها ؛ حيث بدا أن الحملة الجوية الصاروخية كانت غير متسقة مع الهدف المعلن ، وبالتالى تم تركيز المجهود الرئيس لها على تدمير دولة لبنان بشكل عام قبل التركيز على تدمير القوة الرئيسة الصاروخية

لـ «حزب الله»، بالقدر الذى انعكس على إطالة زمن العمليات لمدة ٣٣ يومًا دون أن تحقق الحملة البرية الأهداف المخططه لها!!

٣ ـ إن غياب المعلومات وعدم دقتها عن قوة وحجم وتمركز قوات «حزب الله» وأماكن تجمع صواريخه، وأسلوب قتاله وإعداده وتجهيزه لمسرح العمليات؛ انعكس على الأداء العسكرى للقوة البرية؛ حيث اتسمت الحملة البرية بالتردد فى استدعاء الحجم والقوة المناسبة من جنود الاحتياط؛ لإحراز التفوق المناسب الذى يضمن نجاح العمليات، ثم التردد فى صياغة المهام للحملة البرية، بين تنفيذ عملية شاملة تكتسح الجنوب اللبنانى وتطرد قوات «حزب الله» خارج نهر الليطانى طبقًا للهدف المعلن، وبين القيام بعمليات محدودة مترددة.. وذلك نتيجة غياب المعلومات الكافية عن الجانب الآخر من ناحية، وعدم إعطاء الفرصة الكافية للتخطيط والتدريب من ناحية أخرى. وبالتالى لم يتم بلورة عمل عسكرى متكامل لتحقيق أهداف عسكرية محددة، وتردد الأداء العسكرى ما بين عمليات تأديبية، وعمليات ردع إستراتيجى، وبين مواجهة برية لقوة مدربة تدريبًا راقيًا على إدارة حرب عصابات، بالقدر الذى بدا فيه أن هناك انفصالاً بين أداء القوة الجوية الصاروخية ودورها فى تدمير دولة لبنان، وبين دورها لخدمة الأهداف العسكرية ضد «حزب الله».

٤ ـ تعدد المهام للقوات الجوية والبرية والبحرية بصورة تبدو غير خاضعة لتخطيط شامل متكامل؛ حيث إن عملية الإسقاط الجوى على مستشفى فى مدينة بعلبك، وإسقاط آخر على أحد المنازل بهدف اعتقال مواطن يدعى «حسن نصر الله»، اعتبرتهما إسرائيل إنجازًا كبيرًا تحصل به على رهائن من «حزب الله» حتى لو كانوا جرحى يعالجون فى المستشفيات، ثم كانت المجازر المتلاحقة؛ سواء «مذبحة قانا» أو غيرها؛ مما أبرز عمليات القوة المسلحة الإسرائيلية بأنها تبدو كردود أفعال، فى محاولة لتحقيق أى مكاسب من خلال خطف للرهائن أو عمليات المداهمة والاعتقالات، أو الاستهداف العشوائى للمدنيين؛ مما أدى إلى انتقادات واسعة النطاق، سواء داخل إسرائيل أو من المجتمع الإقليمى والدولى!!

٥ ـ فرض الأداء والاستعداد القتالى لقيادة وقوات «حزب الله» على القوات البرية الإسرائيلية تغيير أسلوب قتالها وتحركاتها؛ حيث كانت تدير عملياتها من خلال الاختراق السريع لمجموعات القتال المشكلة من القوات المدرعة والميكانيكية، والذى يصل لعمق ٣٠ كيلومتر فى يوم القتال الواحد، وذلك باستغلال عمليات المساندة الجوية والصاروخية،

وأعمال المدفعية بعيدة المدى؛ بالقدر الذى تتحقق فيه النتائج والأهداف فى فترات زمنية محدودة، وبأقل خسائر ممكنة.. إلا أن أعمال الكمائن والإغارات التى أدارها «حزب الله» بنجاح فرضت الترجل على القوات البرية الإسرائيلية، كما فرض أسلوب حرب العصابات وقتال التلاحم تحييداً للدعم النيرانى المكثف المطلوب من القوة الجوية الصاروخية، بالقدر الذى جعل من عمليات الاستيلاء على قرى «بنت جبيل ومارون الراس» وغيرها (والتى لا تبتعد سوى عدة كيلومترات من الخط الحدودى الأزرق)؛ عمليات مكلفة جداً من حيث الخسائر وتحقيق الأهداف.. بل وأصبح التقدم البرى فى الجنوب الليطانى لا يتجاوز عدة كيلومترات محدودة بالمقارنة بأسلوب القتال الذى اعتادت عليه القوات البرية الإسرائيلية..

هذا وقد أثرت طبيعة الصراع المسلح من حيث كونه صراعًا غير تقليدى لا يتم بين قوتين مسلحتين نظاميتين «جيوش ميدانية» محدد لكل منهما أهداف ومهام إستراتيجية، وبحيث تقاس درجات الهزيمة والنصر على مدى تحقيقها لهذه الأهداف والمهام والخسائر التى لحقت بهما على طريق ذلك التحقيق.. ومن هنا اعتبرت العمليات الإسرائيلية «مواجهة مفتوحة»، تعتمد بشكل رئيس على «إدارة القتال عن بعد»؛ حيث استخدمت إسرائيل قواتها الجوية والصاروخية والبحرية لتدمير كل الأهداف المدنية فى الدولة اللبنانية، مع ضمان عدم حدوث خسائر بشرية كبيرة لغياب القوة المضادة العسكرية القادرة على التصدى وإيقاف العدوان.

ثانيًا: تقييم الإدارة الإسرائيلية للعمليات العسكرية

فى ضوء العوامل المؤثرة على الأداء العسكرى الإسرائيلى؛ يمكن تأكيد عدة حقائق هامة لتقييم الإدارة الإسرائيلية للمواجهة العسكرية اللبنانية:

أولها: أن الاستخدام المفرط للقوة الجوية والصاروخية والبحرية الإسرائيلية مقابل عملية محدودة للغاية تم فيها خطف أسيرين؛ قد نجحت فى فرض حصار خانق على لبنان براً وبحراً وجواً، كما نجحت فى تدمير لبنان؛ مما يؤكد استمرار الإستراتيجية الثابتة طويلة المدى، التى تعتمد على ميزان القوى بينها وبين الدول العربية لفرض التفوق الدائم، الذى يمكن الدولة العبرية من تطبيق إستراتيجية الردع النفسى، التى هى جزء ثابت وراسخ فى

الفكر الإستراتيجى الإسرائيلى . . وأن حاجة «إيهود أولمرت» إلى استعادة هذه الإستراتيجية بفاعلية كبيرة هى التى دفعته إلى ممارسة هذا العقاب الجماعى الذى انتهى إلى تدمير لبنان، بالقدر الذى أعلن فيه الشيخ «حسن نصر الله» أنه لو كان يعلم رد الفعل الإسرائيلى لما قام بعملية خطف الأسيرين!!

ثانيها: لقد تأثرت الأهداف المطلوب تحقيقها بقصور استخبارى إسرائيلى، نتج عنه عدم اكتشاف أساليب قتال «حزب الله» وترسانته الحربية، وعدم تمكن القوة الجوية المتطورة تكنولوجيًا والمتقدمة كمًا ونوعًا من شل قدرة المقاومة ووقف إطلاق صواريخها على مدى ٣٣ يومًا هى كل مدة العمليات العسكرية، كما افتقرت المخابرات الإسرائيلية للمعلومات عن أوضاع تمركز وتحرك قوات «حزب الله»، والتعرف على مدى تجهيزها لمسرح العمليات من أنفاق ودشم وملاجئ؛ مما أدى إلى التخبط فى إدارة العمليات البرية، كما أن غياب المعلومات نتيجة الانسحاب الإسرائيلى من لبنان عام ٢٠٠٠ قد حرم إسرائيل من قاعدة بيانات كانت توفرها قواتها العاملة هناك، كما أن إطلاق الأقمار الاصطناعية وطائرات الاستطلاع لم تمكنها من سد هذا الفراغ. . وقد تجلى ذلك فى عدم القدرة على معرفة مواقع مقاتلى «حزب الله»، والفشل فى تحديد الأنفاق التى يخزن فيها «حزب الله» صواريخه، مع عدم تمكنها من الوصول إلى أى من قادة الحزب؛ مما أدى إلى فشل عملية الإسقاط الجوى الإسرائيلى، سواء فى مدينة بعلبك أو صور!!

ثالثها: الخسائر الاقتصادية الكبيرة[٢] التى نتجت عن إطالة زمن العمليات بالقدر الذى استدعى طوارئ البنك المركزى، وإجراء تعديلات فى الموازنة، والتغيير فى اتجاه معدل النمو الاقتصادى، فضلاً عن زيادة الإنفاق العسكرى، والذى قُدر بنحو ٢٢ مليون دولار يوميًا. كما تأثر قطاع السياحة والصناعة بنحو مليار و٢٠٠ مليون دولار، وأن قصف مدن الشمال لنحو أربعة أسابيع قد دمر نحو ٢٥ مصنعًا فى ٦٠ بلدة شمالية، منها خمسة مصانع أصيبت بأضرار بالغة، كما تم إغلاق نحو ٧٥٪ من مصانع مدن الشمال، إضافة إلى إغلاق ٣٥٪ من المصانع والمنشآت الصناعية فى حيفا وشمالها، وقد أصاب قطاع السياحة خسائر بملايين الدولارات؛ حيث كان متوقعًا أن تصل عائدات السياحة إلى ٣,٥ مليار دولار؛ حيث أصابت صواريخ «حزب الله» حوالى ٦٠٠٠ منزل بأضرار كلية أو جزئية، كما ألحقت أضرارًا بخمسين متجرًا.

وفى مجال الحرب النفسية؛ فهى تعنى محاولة[٣] السيطرة على عقل الخصم باعتبارها الطريق إلى السيطرة على أرواح وقلوب المقاتلين من ناحية، والجبهة الداخلية وجموع المواطنين من ناحية أخرى.. فإذا كانت أسلحة القتال تهدف إلى السيطرة على قوة العدو القتالية؛ فإن الحرب النفسية هى الوسيلة غير المباشرة التى تهدف إلى السيطرة على العقل والروح المعنوية.

وقد خططت إسرائيل إستراتيجيًا لـ **«حرب نفسية»** للتأثير على الدعم الشعبى لحركة المقاومة التى يقودها الشيخ **«حسن نصر الله»**، معتمدة على ما واكب العمليات العسكرية من انقسامات للتيارات المختلفة داخل لبنان، وانتشار الدعاية التى استهدفت انفراد حزب الله بقرار **«الحرب والسلام»** فى لبنان، من خلال دوافع ليست وطنية خالصة؛ مما يشجع على تنامى التيار المطالب بنزع سلاح المقاومة، ودمجه فى قوات الجيش اللبنانى، وتوحيد قرار الحرب والسلم فى يد الحكومة الشرعية المركزية فى لبنان.

ومن هنا **فقد ركز التخطيط الإستراتيجى العسكرى الإسرائيلى** على استهداف المدنيين، وتدمير المبانى والمنشآت الاقتصادية والإستراتيجية؛ لدفع الشعب اللبنانى إلى التخلى عن المقاومة؛ حيث بدأت العمليات العسكرية الإسرائيلية بحصار خانق للموانئ والمطارات والمحاور والجسور والطرق، التى تعزل لبنان عن محيطها الإقليمى والدول المجاورة القادرة على الدعم ـ خاصة بالسلاح ـ وذلك لنشر اليأس والإحباط لدى رجال المقاومة وأبناء الجنوب اللبنانى، لفقدهم خطوط الإمداد والتحرك، ووسائل الإمداد بالاحتياجات الرئيسة؛ ليست فقط اللازمة لاستمرار نجاح العمليات العسكرية، بل أيضًا للاحتياجات الإنسانية!!

هذا **وقد ركزت القوة الجوية الإسرائيلية** على استخدام أسلحة وإلقاء قنابل تحدث دويًا كبيرًا لتضخيم الأثر المعنوى لدى الشعب، وكان ذلك واضحًا فى القصف المتكرر للضاحية الجنوبية للتأثير على باقى المناطق وأحياء بيروت المجاورة.

كما **ركزت القيادة العسكرية الإسرائيلية** على نشر الشائعات، سواء منها الخاصة بسقوط المدن والقرى، أو الخاصة بالقبض على خلايا المقاومين، وإشاعة القبض على الشخصيات القيادية فى **«حزب الله»**!!.. كما سعت وسائل الإعلام المعادية إلى تصوير انهيار وانتهاء المقاومة، عن طريق بث معلومات عن احتلال قرى **«مارون الراس وبنت جبيل»**، وتدمير

نسبة عالية من منصات الصواريخ ومراكز قيادة المقاومة . . كما بالغت فى تصوير خزانات الوقود المشتعلة لبث الرعب فى نفس المواطن اللبنانى ! !

وعلى طريق تنفيذ أهداف حربها النفسية حملت إسرائيل مسئولية نتائج جرائمها (التى تمثلت فى تدمير البنية التحتية والاقتصادية، والمنشآت الحيوية اللبنانية، وفرض نزوح الآلاف من أبناء الضاحية الجنوبية، وارتكاب المجازر المتتالية ضد المدنيين من شيوخ ونساء وأطفال) إلى المقاومة اللبنانية المتمثلة فى **«حزب الله»**، التى خاضت من وجهة النظر الإسرائيلية **«مخاطرة غير محسوبة»** بقيامها بالعملية الفدائية التى انتهت بخطف جنديين إسرائيليين وقتل وإصابة آخرين . . **كما هدفت تلك الحرب النفسية إلى إحداث فجوة بين المقاومة اللبنانية والشعب اللبنانى، بما ينتهى إلى تكوين رأى عام لبنانى كاسح يفرض نزع سلاح المقاومة وإبعادها عن الجنوب اللبنانى** . وقد ألقت القوات الجوية الإسرائيلية عدة ملايين من المنشورات لتحقيق هذا الهدف، كما استغلت الاتصالات المباشرة من خلال الهواتف المحمولة بأفراد الشعب اللبنانى، ثم الآلة الإعلامية واسعة الانتشار التى روجت لتلك الأهداف . .

ويبقى التساؤل فى مجال تقييمنا لهذه الحرب النفسية . . **هل نجحت فى تحقيق أهدافها؟؟** . .

إن الحقيقة التى أكدتها الأحداث على الساحة اللبنانية هو المزيد من التمسك بخيار المقاومة، وفشل وسائل الحرب النفسية فى إقناع الشعب اللبنانى ـ بل والشعب العربى من ورائه ـ بما استهدف تحقيقه؛ فتعاطف الجميع مع المقاومة، كما أن الشعب اللبنانى الذى عرف بتعدد طوائفه قد توحد خلف المقاومة بدلاً من التخلى عنها، وأجلت الجماعات المختلفة مع «حزب الله» خلافاتها لحين انتهاء الصراع المسلح . . ورغم معاناة الشعب اللبنانى جراء القصف الإسرائيلى الذى أثر على جميع نواحى حياته، إلا أنه استطاع أن يدرك الهدف الإسرائيلى . ولم يتنكر للمقاومة، ويلقى اللوم عليها؛ بل ازداد تمسكًا بها منهجًا وأسلوبًا حتى تمام تحرير كامل التراب اللبنانى من الاحتلال الإسرائيلى .

قالت الكاتبة **«كارولين جليك»** فى مقال لها فى صحيفة **«الجيروزاليم بوست»**: «بعد أن منيت إسرائيل بالهزيمة فى حربها على لبنان؛ اندلعت نداءات من جميع القوى السياسية الإسرائيلية تطالب بإنشاء لجنة تحقيق رسمية لتقييم إدارة **حكومة أولمرت** للحرب على لبنان؛ لأن ما حدث هو أن **حكومة أولمرت قد فشلت على جميع المستويات فى إدارة هذه**

الحرب.. ويجب على الشعب الإسرائيلى الخروج إلى الشوارع، ومطالبة نوابه بطرد رئيس الوزراء ووزير دفاعه ووزير خارجيته وزملائهم من الحكومة».

واستطردت تقول[٤]: «لقد كانت كل أشكال مواجهة الحكومة للحرب نموذجًا للفشل؛ فقد أخفقت ـ على سبيل المثال ـ فى اتخاذ إجراءات جادة لتخفيف المعاناة، بعد أن تجاهلت لمدة خمسة أسابيع الكارثة الإنسانية بشمال إسرائيل، الذى يوجد به أكثر من مليون إسرائيلى تحت الهجوم الصاروخى، ولم تطور الحكومة أى خطة متكاملة لتنظيم مجهودات تخفيف المعاناة الخاصة بإطعام المواطنين، الذين مكثوا فى الخنادق خوفًا من القصف أو لإجلائهم، إضافة إلى الفشل العسكرى الذريع؛ حيث تعانى وزارة الدفاع الإسرائيلية من فشل حاد فى قيادتها، تلك القيادة التى أتى بها إلى السلطة **«إيريل شارون»**.. إن النموذج الذى اتبعته القيادة العسكرية الإسرائيلية فى حربها الجوية كان خاطئًا.. وكان يجب الإسراع باستدعاء الاحتياط وشن هجوم برى وجوى متكامل.. ولكن الحكومة لم تشعر بتلك المسئولية، وأرادت أن تكسب الحرب بأبخس الأثمان.. وعندما غضب الشعب بعد انتظار أسبوعين استدعت قوات الاحتياط، ثم انتظرت عشرة أيام أخرى قبل دفعهم إلى القتال. وعلى طريق استمرار السخط الشعبى من أداء الحكومة والمؤسسة العسكرية؛ كانت المطالبة المتكررة والمستمرة بإقالة حكومة أولمرت التى قيل عنها: **«إنها حكومة فاشلة مخجلة ليس فقط لأنها ألحقت بإسرائيل أسوأ هزيمة فى تاريخها، ولكن لأن كل يوم يمضى تجلس فيه هذه الحكومة على كراسى السلطة يفاقم من الخسائر التى سببتها، ويزيد من المخاطر التى تتعرض لها إسرائيل»!!**

إننا نحتاج إلى لجنة لتحديد ما نحتاج أن نفعله لأن فشل «حكومة أولمرت» كان ملحمة عظيمة تنتظرنا بعد تعاظم خطر مرور كل ساعة وهذه الحكومة فى السلطة؛ ولذا يجب أن تستبدل هذه الحكومة الفاشلة بأخرى تستطيع الدفاع عنا.

هذا وقد كتب **«يونيل ماركوس»** المحلل العسكرى الإسرائيلى عن فشل إسرائيل فى حربها ضد «حزب الله» فقال: **«ما الذى دفع الجيش ورئيس أركانه إلى إقناع الحكومة المبتدئة نسبيًا فى الشروع فى حرب شاملة خلال ساعات من اختطاف جنديين من جنودنا»..**

فالجيش الذى لا يقهر خرج مهزومًا، رغم أنه يمتلك أكبر ترسانة قتالية متطورة.. أخفق أمام جنود «حزب الله» حتى صار المنشود منها وقف القتال.. الجيش الذى استخدم

قوته العسكرية الجوية والبحرية والبرية أخفق فى الإفراج عن الجنديين الإسرائيليين الأسيرين من «حزب الله» ؛ وهو الهدف المعلن للحرب» .

كشف تقرير دبلوماسى أمريكى معلومات قدمتها قيادة أركان الجيش الإسرائيلى لحكومتها تؤكد أن القوات الإسرائيلية على جبهة القتال استنفذت نسبة ٩٠٪ من ذخائرها ؛ مما اضطر قيادة الأركان فى الجيش الإسرائيلى لفتح مخازنها المخصصة للطوارئ لاستخدام الذخائر من الصواريخ والقنابل . .

كما أعلن النائب **«يوفال ستايبتس»**[٥] لصحيفة **معاريف الإسرائيلية : «إن قبول الحكومة الإسرائيلية لوقف إطلاق النار يجب أن يجبرها على الاستقالة لأنها أعطت نصرًا» لحزب الله : «ولكل الذين يطالبون بتدمير إسرائيل » . . كما أكد الخبراء والمحللون والسياسيون «أن الدولة العبرية وجيشها فقدت فى حرب الثلاثة والثلاثين يومًا ضد لبنان «القوة الرادعة» إلى الأبد . . الأمر الذى سيجعل فصائل المقاومة بمختلف أشكالها قد تلحق الهزيمة بهذا الجيش ! ! . .**

تلك كانت بعض التحليلات التى أوردتها أجهزة الإعلام عن آراء كبار المحللين والسياسيين والمفكرين الإسرائيليين حول أداء القوات المسلحة الإسرائيلية فى عملياتها ضد لبنان .

وفى النهاية أشير إلى حقيقة مؤكدة تتمثل فى إجابة التساؤل الآتى : **ما الذى حققته الحكومة الإسرائيلية من أهداف تميز بها بين النصر والهزيمة . . ؟؟ وفى مجال إجابتنا نقول إن إسرائيل قد أعلنت عن أربعة أهداف أدت إلى شنها لعملياتها العسكرية : أولها** : عودة الجنديين الأسيرين اللذين أسرهما **«حزب الله»** . . **وثانيها** : تدمير القدرة الصاروخية والبشرية لـ **«حزب الله»** وتحصيناته وقتل أو أسر قياداته الرئيسة . . **وثالثها** : احتلال الجنوب اللبنانى حتى نهر الليطانى . . **ورابعها** : إنشاء منطقة آمنة على حدود إسرائيل ، وإنشاء قوة دولية متعددة الجنسيات تعمل طبقًا للبند السابع على الحدود اللبنانية .

. . فهل نجحت إسرائيل فى تحقيق هذه الأهداف؟

لقد نجحت إسرائيل فى تدمير الدولة اللبنانية ، وذلك بإلقاء أكثر **من حجم قنبلة نووية على لبنان ؛ مما يعنى**[٦] **إسقاط أكثر من ٢٠ ألف طن مواد متفجرة** ؛ الأمر الذى أدى إلى تدمير البنية التحتيه تدميرًا شاملاً ، وأدى إلى نزوح[٧] حوالى مليون لاجئ ، وما يقرب من

ألف وأربعمائة قتيل، وآلاف الجرحى، إضافة إلى تدمير خمسة وخمسين من الكبارى، وتدمير مطار بيروت وموانئ طرابلس وصيدا، إلى جانب تدمير أغلب أحياء العاصمة اللبنانية ومركز لتصنيع الألبان، والعديد من ثكنات الجيش اللبنانى فى الجنوب، وعدد كبير من المدارس والمستشفيات ومراكز مساعدات الأمم المتحدة، ومقار التليفزيون، بالقدر الذى هدد بكارثة إنسانية، وجعل من هدف تدمير الدولة أهم من تدمير **«حزب الله»** وإبعاده عن الجنوب اللبنانى؛ والذى كان الهدف الرئيس من العمليات العسكرية الإسرائيلية، والذى كان من الواجب تركيز كافة الجهود الرئيسة للقوات المسلحة الرئيسة لتحقيقه، خاصة مع عمل هذه القوات على جبهتين فى وقت واحد: **«الجبهة الفلسطينية والجهة اللبنانية»**؛ الأمر الذى أدى إلى سعى الولايات المتحدة (الشريك المباشر فى العمليات) إلى الضغط على مجلس الأمن الدولى لاستصدار **«القرار رقم ١٧٠١»**، الذى حقق لإسرائيل سياسيًا ما لم تستطع تحقيقه عسكريًا.

* * *

الهوامش :

١ ـ أنتونى كوردسمان . . بعد العاصفة . . ترجمة وإصدار : دار الهلال، ١٩٩٤ .

٢ ـ ضربة قاصمة للاقتصاد الصهيونى، مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٧٥١، بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٠٦ .

٣ ـ لواء طلعت مسلم : الحرب النفسية الصهيونية مثال على الفشل، مجلة للمجتمع، العدد ١٧١٥، بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠٠٦ .

٤ ـ تقرير أحمد أبو صالح، **جريدة الأسبوع**، العدد ٤٩١، ٢١ أغسطس ٢٠٠٦ .

٥ ـ إيمان مأمون، صرخة الشارع الإسرائيلى، **صحيفة الأسبوع**، العدد ٤٩١ بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠٠٦ .

(٦) تصريح لرئيس مجلس النواب اللبنانى «نبيه برى» خلال لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية خلال العمليات فى بيروت فى ٢١/ ٨/ ٢٠٠٦ .

(٧) أنطونيو فيرارى، جريدة الجرائد العالمية، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٩٩٣ .

***